بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما لهم من طول الممارسة للخطب
والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لاسيما عند
المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به
فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم
في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيذانا
بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهور أنها لكونهم على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل و
جعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري
تستقل به المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار
عجزهم عنه لا تحصيل المفعول أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجواب في الشرطية
أعني الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ الفعل
هو نفس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة
فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصد به إيقاع نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة
إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما
يستفاد ذلك من الفعل ولذلك تراهم يتوصلون إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها
وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع
يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله ائتوني
بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالأمر وهو غرضه ما تجلب
منه استحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعي
في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي ورد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل
أعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا للمطلوب وإعرابا عن مقصده هذا وقد قيل أطلق
الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضمائر
الراجعة إليها احترازا عن التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما من التلازم المصحح
للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك على إذا مع تحقق الجزم بعدم
فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة أو تهكم بهم ولن تفعلوا كلمة لن تنفي
المستقبل كلا خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند
الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي إحدى
الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها و

مؤكدة

مؤكدة لإيجاب العمل بمقدمها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز و
وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن
سلف فاتقوا النار جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد بذلك
يحقق تبعده عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المعهود فاحترزوا
من إنكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه
الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها
للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع أمره وإظهار كمال العناية المذكورة بتحذير المخاطبين منه و
تنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الإعجاز البديع ما لا يخفى حيث
كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم
الإيمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة صفة للنار موذنة لتهويلها وفظاعتها أعاذنا الله من ذلك والوقود
ما يوقد به النار ويرتفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا تشتعل شيئا من رطب
أو يابس إلا الحجر فيه لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقود من حطب أو حشيش وإنما
جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوما
للمخاطب [illegible] لأنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فإن تنكيرها ههنا لأنها
سمعوه أولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور
وأما أن الصفة يجب أن يكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب فمذهب
[illegible] إذ المخاطب هنالك المؤمنون وظاهر أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم الآية أعدت للكافرين أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه والمراد
إياكم أو المخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإنما هم خاصة ووضع الكافرين موضع
ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقد قرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة
على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون
ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل بها ومبينة لمن أعدت له وقيل حال
بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما فيه من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة أو عطف

Copyright King Saud University